رمال الموت

محمود سالم

رمال الموت

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

رمال الموت

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٥٦٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
تجربة الموت والطوفان	١١
قراءة في ملف المعلومات	١٧
ماذا في حزام الغريق؟	٢١
دعوة إلى الغداء	٢٧
أربع نقاط في التقرير	٣٣
الضوء والكلام	٣٩
مُعلَّق في الفضاء	٤٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

تجربة الموت والطوفان

كانت قاعة التجارب المجسمة في المقر السِّري تشهد تجرِبةً من أغرب التجارب التي رآها الشياطين الـ «١٣» ... كانوا جميعًا يجلسون صامتين في القاعة الكبيرة المظلمة، وقد أضيئت بنورٍ أخضرَ خفيفٍ لم يُبدِّدْ تمامًا الظلام العميق الذي فُرض عليها ... ولولا أنَّ الشياطين كانوا يدركون أنَّ ما أمامهم ليس إلَّا تجربةً، لظَنوا أنَّ القاعة سوف تنفجر وتطير وهم معها أشلاء في الفضاء ... ففي الجانب الأطول من القاعة كانت هناك خريطة مجسمة لمنطقة بحيرة «قارون» في محافظة «الفيوم» ... البحيرة من شاطئها الغربي المهجور، حيث كانت الكهوف القديمة تعلن عن الحضارات التي قامت على هذا الشاطئ وبادت، ثم مياه البحيرة الداكنة و«جزيرة القرن الذهبي» التي تتوسَّطها، ثم الشاطئ الشرقي حيث تدبُّ الحياة في مجموعة القرى الصغيرة التي يسكنها المزارعون والصيَّادون من أهالي المنطقة.

وكانت مجموعة من الانفجارات تجتاح المنطقة ... انفجارات تشبه مظلة الطيارين وهي تنفتح، تبدأ صغيرةً ثم تتضخَّم وتتضخَّم بشكل سرطاني مُخيف ... وكان أخصائي التجارب يتحدَّث: ما أمامكم الآن هو تصوُّرٌ لما يمكن أن يحدث في حالة تفجيرٍ ذرِّيٍّ في المنطقة.

ودوَّت أصوات انفجار كهزيم الرعد رجَّت القاعة ... وعلَّق الصوت قائلًا: وهذا نوع وصوتُ الانفجارات مُصغَّرًا بنسبة واحد إلى مائة ألف.

قال «عثمان» لـ «أحمد» بصوتٍ هامسٍ: إنني أكاد أسقط من فوق المقعد.

قال «أحمد»: لو كنت في منطقة الانفجارات لأصبحت الآن ذرَّةً في الهواء.

عثمان: هذا شيءٌ مرعبٌ حقًّا.

أحمد: لا أدري ما الحكمة من هذه التجربة المخيفة، ولكن لا بُدَّ من أنَّ رقم «صفر» يريد أن يُثبت لنا شيئًا.

ومضى صوت المُعلِّق يعلن: إن قنبلةً ذريَّةً من النوع المتوسط تكفي لإزالة بحيرة «قارون» من مكانها، وستهاجم مياهها المتدفِّقة الأراضي الزراعية على الشاطئ الشرقي، فتغرق القُرى حتى تصل إلى العاصمة «الفيوم» ذاتها فتُغرقها.

وسكت لحظات، والشياطين يشاهدون على الشاشة الضخمة صُوَرًا مجسمة للانفجار، والأمواج تندفع كالجبال تجتاح كلَّ ما أمامها، وكل قطرة فيها تبدو كأنها كرة ضخمة من الملح أو الماء المتجمد.

كان المشهد يبدو كالطوفان ... وقالت «إلهام» هامسة: ترى يا «زبيدة»، هل المطلوب منَّا أن نقاوم هذا الطوفان؟

وجاءها الردُّ من حيث لا تدري، فقد تحدَّث رقم «صفر» لأول مرَّة قائلًا: إنَّ مهمتكم هي منع هذا الطوفان.

ولمعت عيون الشياطين الـ «١٣» في الظلام الأخضر ... فمَن الذي يستطيع أن يقف أمام هذا الموت الزاحف!

ومرة أخرى أجاب رقم «صفر» على السؤال الذي طاف بأذهان الشياطين: بالطبع فإن هذا الطوفان لم يحدث بعد، ولكن من الممكن أن يحدث في أية لحظة، وسننتقل الآن من غرفة التجارب المجسمة إلى غرفة الاجتماعات، وسوف أُحدِّثكم عن هذه التجارب ... والقصد منها ... والاحتمالات ... ودوركم المقبل.

وبعد لحظة أضيئت قاعة التجارب المجسمة، ولم يبقَ من آثارها شيء، حتى ليحس من كان فيها أنَّ ما جرى من تجاربَ مخيفةٍ لم يكن إلَّا وَهْمًا.

وكانت هذه القاعة التي أُطلق عليها الاسم الكودي «ق. ن. م»، قد أنشئت حديثًا في المقر السِّري للشياطين لإجراء التجارب بأكبرِ قدرٍ من التأثير والقرب من الحقيقة. وقد كانت هذه أول تجربة يحضرها الشياطين ... وهكذا عندما اجتمعوا في قاعة الاجتماعات الرئيسية، سألهم رقم «صفر»: ما رأيكم في قاعة التجارب؟

ردَّ «أحمد»: إنها شيءٌ مدهشٌ يا سيدي ... لقد نقلتنا إلى قلب التجربة مباشرة.

رقم «صفر»: سوف يتم تزويد القاعة بأنواع متطورة من أجهزة الصوت.

قالت «إلهام»: لقد لاحظت أنَّ الصوت فعلًا لم يكن في مستوى التجربة.

رقم «صفر»: لقد كان ما شاهدتموه مُجرَّدَ تجرِبةٍ أو «بروفة» للقاعة، وسوف تحضرون أول افتتاح لها قريبًا.

وصمت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: والآن سأحدِّثكم عن التجربة ... وعن مهمتكم.

وسمع الشياطين صوتَ تنهيدةِ رقم «صفر»، ثم قال: إن المعلومات التي سأقولها لكم الآن على أكبر قدر من السرية ... ولكن للأسف، إن طرفًا منها تسرَّب إلى دولة معادية، ونحن الآن نُحقِّق في كيفية تسرُّب هذه المعلومات، وهذا جزء من مهمتكم ... ولكن الجزء الهام ستعرفونه بعد لحظات ...

زاد شوق الشياطين إلى سماع ما سيقوله رقم «صفر»، فقد أثار شهيتهم بالحديث عن الدولة المعادية ... والمعلومات السِّرية التي تسرَّبت ... وقال رقم «صفر»: تقوم شركة أجنبية كبرى منذ ثلاثِ سنواتٍ بتحليل مياه بحيرة «قارون» التي أثبت الخبراء المصريون احتواءها على مجموعة من العناصر الطبيعية الهامة، مثل: البوتاسيوم والمغنسيوم والكالسيوم وغيرها ... ولكن الأهم من هذا كله ...

وسكت رقم «صفر» لحظة ثم ألقى قنبلتَه: أنها تحتوي على اليورانيوم!

وعلى الفور، أدرك الأصدقاء الصلة بين التجارب المجسَّمة التي شاهدوها في قاعة التجارب وبين هذه المعلومات ... فإنَّ ما شاهدوه على الشاشة المجسَّمة لم يكن إلَّا تفجيرات ذرِّية فوق بحيرة «قارون».

ومضى رقم «صفر» يقول: وقد تم استخلاص عنصر اليورانيوم من الرمال السوداء في البحيرة بعد مجموعة من التجارب المضنية، وبعد سلسلة التجارب أصبح في حوزة العلماء المصريين كميةٌ من اليورانيوم نصف النقي ... وقد كان هذا الخبر — رغم سريته — مَثارَ اهتمام دول العالم، خاصةً أجهزةَ المخابرات الأجنبية التي أبدت اهتمامًا خاصًّا بهذا السِّر بناءً على أوامرَ خاصةٍ من دولها ...

ساد الصمت قاعة الاجتماعات ... لكن كان واضحًا أن رقم «صفر» سيكشف فورًا عن سر خطير ... ولم يَطُل انتظار الشياطين، فقد مضى رقم «صفر» يقول: وكانت الكمية التي حصلت عليها مصر قد وُضعت في صُندوقٍ أسودَ من الرَّصاص، سمك جدرانه ٧ سنتيمترات من الرَّصاص، وأنتم تعرفون أنَّ إشعاع اليورانيوم يمكن أن يخترق جدارًا من الرَّصاص سُمكه ٦ سنتيمترات، ووُضع الصُّندوق على سبيل التعمية والتمويه في صُندوقٍ آخرَ من الجريد ضمن مجموعةِ صناديقَ أخرى ضمَّت عيِّناتٍ من موادَّ أقل أهمية، مثل البوتاسيوم وغيره، كما شرحت لكم عن أنواع العناصر الموجودة في البحيرة.

وصمت رقم «صفر» لحظات ثم قال: وقد أحيط هذا الصُّندوق بإجراءاتِ أمنٍ خفيَّة ... وكان هناك حزام من الرجال يرقبه من بعيد ... وقد وصل الصندوق فعلًا إلى «القاهرة»، ولكن المفاجأة أن وجدوا بداخله صُندوقًا من الرَّصاص بنفس ثقل الصندوق الحقيقي، ولكنه خالٍ من اليورانيوم.

مرة أخرى ساد الصمت قاعة الاجتماعات، ولم يعد الشياطين يسمعون سوى صوت تنفُّسِهم ... انطلق رقم «صفر» يقول: وقد قامت مجموعات من رجال الأمن ببحث الموقف، وقد تأكَّدنا أنَّ احتمال سرقة الصندوق وإخراجه من منطقة «قارون» مستحيلة ... فليس هناك سوى طريقين يربطان بحيرة «قارون» بالعالم الخارجي؛ الأول الشرقي البري، ويؤدِّي إلى «الفيوم» أو «القاهرة»، وهذا كان موضع رقابة شديدة ... والثاني الغربي البحري، وهذا يؤدي إلى الصَّحْراء الغربية المترامية الأطراف ... ومن المستحيل أن يستطيعَ شخص اختراقه مهما فعل، فهو طريق من الرمال غير مطروق ولا توجد به مياه.

قال «فهد» مقاطعًا: ربما كان يركب طائرة مثلًا.

لم يستطع رقم «صفر» كتم ضحكته، رغم وقاره المعروف، وقال: وكيف يمكن أن تأتيَ طائرة، وتهبط قرب البحيرة، ويتم سرقة الصندوق ووضعه فيها، ثم تطير بعد ذلك دون أن نراها؟! ... إنه يا رقم «٨» احتمال بعيد جدًّا، بل هو في حكم المستحيل.

وارتفعت همسات الشياطين مُعلِّقةً، ولكن رقم «صفر» أنهاها بقوله: إننا نريد مجموعة من الشياطين تذهب لمسْح المنطقة والحديث إلى المزارعين والصيادين هناك، وفحْص جميع المناطق بين البحيرة و«وادي الريَّان» حيث تعمل بعض «الشركات الأجنبية»، وأرجو أن تتمكنوا من الوصول إلى شيءٍ ...

لم يُعلِّق أحدٌ لبضعِ ثوانٍ، ثم قال «أحمد»: إننا نريد معلوماتٍ أوفرَ عن الصندوق الأسود، وعن الظروف التي أدت إلى اختفائه ... وعن آخرِ شخصٍ شاهدَه ... وآخرِ مكانٍ كان فيه، لإمكان تتبُّعه.

رقم «صفر»: بالطبع ... وسيجد كلٌّ منكم عند عودته إلى غرفته ملفًّا كاملًا يحوي كلَّ التحقيقات التي جرت في هذا الموضوع.

عثمان: أرجو أن تكون هناك مجموعة من الصور لجميع الأشخاص الذين اشتركوا في استخلاص مادة اليورانيوم، والذين أشرفوا على وضعها في الصندوق الأسود، فقد علَّمتْنا التجاربُ أنَّ صورةً صغيرةً قد تؤدي إلى الكشف عن أسرار لا يَكشفُ عنها الكلامُ ولا الكتابة.

تحدَّث رقم «صفر» وقد بدت في صوته رنَّة اهتمام: لقد اهتممنا بذلك يا رقم «٢»، وسيكون مع ملفِّ المعلومات ملفٌّ كاملٌ من الصور.

أحمد: هل ثَمَّة ترتيباتٌ قد وُضعت لسفرنا وإقامتنا هناك؟

رقم «صفر»: لقد قام قِسم الخدمات بحجز مجموعة من الغُرَف في أوبرج الفيوم، وفي فندق آخر صغير على شاطئ البحيرة يُدعى «البافيون دي شاس». كما تمَّ إعداد قارب سريع

للإبحار في البحيرة، وفي مكانٍ سرِّي من القارب مجموعة من الأسلحة الثقيلة، بالإضافة إلى الأسلحة الخفيفة التي توجد في حقيبة كلِّ واحد منكم ... هل هناك أسئلة أخرى؟

لم يرتفع أيُّ صوت بسؤال ... وسمع الشياطين الـ «١٣» خطوات رقم «صفر» الثقيلة وهي تبتعد ... فقاموا جميعًا من أماكنهم.

قراءة في ملف المعلومات

عندما عاد الشياطين الـ «١٣» كلٌّ إلى غرفته، كان في انتظاره على مكتب الاطلاع ملفٌّ أسود اللون، وقد فُرِّغت عليه رموز الاسم ونوع العملية في أرقام وحروف بيضاء لا يمكن تقليدها. فهذه الملفات عادة تحوي معلوماتٍ ليست متاحةً إلَّا لعدد قليل جدًّا من الناس في هذا العالم.

استلقى «أحمد» على فراشه، وطلب كوبًا من عصير البرتقال، ثم أمسك بالملف، واستند إلى جانب الفراش الوثير وأخذ يقرأ: «ع. ق. ر.»

فهِمَ على الفور أن «ع» ترمز إلى عملية، و«ق» ترمز إلى «قارون»، و«ر» ترمز إلى يورانيوم، ومعناها مكتملة «عملية يورانيوم قارون»، مع تقديم اسم قارون في الشفرة ...

وبعد مجموعة أخرى من الأرقام والأحرف الشفرية بدأ يقرأ:

منذ ثلاث سنوات أُسنِدت إلى شركة أجنبية عملية تحليل مياه بحيرة «قارون» باحتمال وجود عناصر ذات قيمةٍ اقتصاديةٍ هائلةٍ في مياه البحيرة ... والمعروف أنَّ بحيرة قارون تمَّ حفرُها وإعدادها كمخزن للمياه أيام الفراعنة ... وتبلغ مساحة البحيرة نحو ٥٠ ألف فدان، بعض أجزائها شديد العمق، وتزداد ملوحة البحيرة عامًا بعد عام نتيجةَ البخر، وتقوم الحكومة حاليًّا بمدِّ مصارف لتحلية المياه ...

وقد قامت الشركة الأجنبية بعمليات التحليل على مراحلَ متعددة، وأثبتت فعلًا أنَّ مياه البحيرة تحوي كمياتٍ كبيرةً وذات قيمة اقتصادية عالية من عناصر البوتاسيوم والصوديوم والمغنسيوم، وغيرها، وكلها عناصر على درجة عالية من الأهمية، سواء بالنسبة للصناعات المدنية أو العسكرية.

وفي نهاية السنة الثالثة، لاحظ الخبراء المصريون والأجانب وجود الرمال السوداء في مناطق متعدِّدة من البحيرة، وهي الرمال التي تحمل عادةً عنصر اليورانيوم المُشع والذي تُصنع منه القنابل الذرِّية.

وقد اعتبرت هذه المعلومات على أكبر درجة من السرية، نظرًا لصراع الدول الكبرى حول هذا العنصر الخطير ... وبدأت سلسلة من التجارب السِّرية في مصر وفي دول أخرى لاستخلاص عنصر اليورانيوم من الرمال السوداء ... وفي الشهور الأخيرة من هذا العام ثبت أن اليورانيوم «ق» — نسبة إلى بحيرة قارون — من أفضل أنواع اليورانيوم في العالم، وقد تمَّ إعدادُ كمية منه تكفي لصنع قنبلة.

وضعت هذه الكمية في صندوق الرَّصاص مانع الإشعاع، ثم وُضِع الصندوق الأسود في صندوق أكبر من الحديد، ثم في صندوق ثالث من الخشب.

وضع الصندوق الخشبي ضمن مجموعة صناديق من الحديد كانت بها عيِّنات من عناصر أخرى، وتم نقْلُه من شاطئ البحيرة إلى سيارة مضت به إلى محطة سكة حديد «أبو كساه» ثم من هناك إلى «الفيوم»، ومنها إلى «القاهرة» ... وكانت هناك رقابة بعيدة ولكن مشدَّدة على الصندوق، ولكن عندما تم فَتْحُه في «القاهرة»، وُجد أنَّ صُندوقَ اليورانيوم الأسود قد تمَّ استبدالُه بصندوقٍ آخرَ مماثل، ويحتوي على بعض قطع الحديد بدلًا من عيِّنات اليورانيوم، ولم نصل خلال الأسبوع الماضي كلِّه إلى تحديد المشتبه فيهم، وإن كان عدد الأشخاص الذين يعلمون السرَّ كله خمسة، ومن المؤكد أن الصندوق ما زال موجودًا داخل حدود منطقة قارون ...

والآن إلى ملف الصور والمعلومات شبه الكاملة عن الأشخاص.

أولًا: البروفيسور «ج. كوب»، رئيس قسم الطبيعة النووية في إحدى جامعات الولايات المتحدة. له أبحاث متقدِّمة في استخلاص عنصر اليورانيوم، متزوج وله ثلاثة أولاد، سُمعته ممتازة، يعمل في مصر منذ سبعة أشهر، لم يُلاحَظ على سلوكه أيُّ شيءٍ مريب.

ونظر «أحمد» إلى الصورة، كان البروفيسور «كوب» رجلًا ضخم الجسم، كبيرَ اللحية، باسمَ العينين، يبدو عليه الطيبة الشديدة ...

ثانيًا: الدكتور «ل. باتريك»، أستاذ في الموادِّ المُشعة. شارك في صُنع عددٍ كبيرٍ من المفاعلات الذرية في العالم، تَنقَّل في عديد من العواصم العالمية، لم يتزوج، قضى في مصر عشرين شهرًا، يقضي إجازاته في الخارج، من هواة صيد السمك.

نظر «أحمد» إلى صورة الدكتور «باتريك» ... كان عكس البروفيسور «كوب»، فهو نحيف، طويل، لحيته منسقة، يضع في جانب فمه «بايب»، وفي أصبع يده اليمنى خاتم ضخم.

ثالثًا: الدكتور «س. مونتاجو»، أستاذ فَرنسي من الأساتذة العالميين في الموادِّ المُشعة خاصةً اليورانيوم. له أبحاث تطبيقية في مجال استخلاص اليورانيوم من الرمال السوداء، مشهور بخفة الدم، متزوِّج من سيدة سويسرية تقيم معه في «قارون». قضى في مصر سنةً وثلاثةَ أشهر، ولم يغادِرْها إلَّا مرَّةً واحدة.

وكانت صورة الدكتور «مونتاجو» تُمثِّل شخصيةَ العالم الفَرنسي بقامته المتوسطة وشعره المقصوص والعوينات الطبية الخفيفة التي يضعها على عينيه، وقد بدا غارقًا في التفكير حتى إنه لم يلتفت إلى المصوِّر وهو يلتقط صورته.

رابعًا: دكتورة «هيلدا» من السويد. متخصصة في أبحاث الانشطار النووي، وعملت فترة طويلة مساعِدةً للبروفيسور «ج. كوب». في استخلاص الموادِّ المُشعة من الطبيعة. متزوِّجة ومات زوجها منذ ٤ سنوات، تعيش مع ابنها وابنتها في فيلَّا مجاورة للأوبرج، الابن ١٨ سنة والابنة ١٤ سنة، وهما يتردَّدان على مصر والخارج في فتراتٍ متباعدة.

ونظر «أحمد» إلى صورة الدكتورة «هيلدا». كانت تتفجَّرُ صحةً وعافيةً وقد بدت على ملامحها الطيِّبة علاماتُ الذكاء، وكانت صورة كلٍّ من الابن والابنة تُشبه إلى حدٍّ بعيد صورةَ الأم.

خامسًا: المهندس «ن. كروسمان» هو المسئول عن الأجهزة والآلات العاملة في المشروع. متزوِّج، ولكنه يعيش وحيدًا في مصر، قليل الكلام والاختلاط بالآخرين. اشترك في الحرب العالمية الثانية، وفقد إحدى أذنيه وثلاث أصابع من قدمه اليمنى.

كانت صورته عادية لم يستوقف «أحمد» شيء فيها.

ثم جاءت الملاحظات في الملف، وكان أهم هذه الملاحظات أن جميع العاملين في المشروع من المصريين موضع ثقة، وقد تمَّت عدةُ أبحاثٍ عليهم جميعًا أكَّدت ولاءهم واستبعاد قيامهم بأيِّ شيء يضرُّ بالوطن.

أخذ «أحمد» يتأمَّل الصُّوَر مرةً أخرى، بدا له بعض الوجوه ليس غريبًا عنه ... وأخذ يُجهد ذاكرته في محاولة للبحث أين ومتى رأى هؤلاء، ولكن محاولته لم تؤدِّ إلى نتيجة، واستسلم للرُّقاد، فلم يستيقظ إلَّا على جرس خفيف عرَفَ أنَّه جرس التليفون الداخلي.

رفع السماعة وسمع صوت «إلهام» تقول له: ماذا تفعل؟

نظر إلى ساعته، ودهش لأنه نام أكثر من ساعة، فقال: لا شيء على الإطلاق!

إلهام: هل قرأت الملف؟

أحمد: نعم ... ولم أجد فيه شيئًا يستحقُّ الذكر. هل هناك تعليمات جديدة؟

إلهام: ربما تتلقى التعليمات النهائية في المساء، على أن نكون جاهزين للسفر في الصباح إلى «القاهرة»، ما لم تكن هناك تطوُّراتٌ أخرى.

أحمد: كم واحدًا من الشياطين؟

إلهام: الشياطين الـ «١٣» جميعًا. يبدو أنَّ رقم «صفر» يريد أن يُثبت أننا يمكن أن ننجح فيما فشلت فيه بقية الأجهزة؛ لهذا يريد أن يُلقيَ بثقله كلِّه في الموضوع.

أحمد: سيكون شيئًا مُلفتًا للنظر وجود ١٣ شخصًا غريبًا في هذه المنطقة الصغيرة في «قارون».

إلهام: إنني لم أذهب إلى هناك من قبل.

أحمد: إنها منطقة ممتعة ... ولكنها لا تُخفي ١٣ شخصًا مطلقًا؛ لهذا يجب أن نُقسِّم أنفسنا إلى مجموعاتٍ، على الأقل مجموعتان.

إلهام: إنك ستقود العملية بالطبع. وأعتقد أنَّ عليك أن تُفكِّرَ من الآن في أسلوب العمل.

ولاحظ «أحمد» النور الأحمر، وهو النور الثالث فوق باب غرفته، ومعناه أنَّ رقم «صفر» يريد الحديث إليه، فقال على الفور: سأضع السمَّاعة يا «إلهام». معذرة ولكن ...

إلهام: فهمت.

وضعت «إلهام» السمَّاعة، وعلى الفور سمِعَ «أحمد» صوتَ رقم «صفر» العميق يقول له: سأعقد معك اجتماعًا خاصًّا بعد خمس دقائق في القاعة رقم ٩، هل أنت على استعداد؟

أحمد: بالطبع يا سيدي.

قام «أحمد» مُسرِعًا فغسل وجهه ودعكه ببعض ماء الكولونيا، وغيَّر قميصه، ثم انطلق في الممرَّات الساكنة إلى القاعة رقم ٩، وهي قاعة صغيرة للاجتماعات البالغة السِّرية.

دخل «أحمد» القاعة في الموعد بالضبط، وسمع رقمَ «صفر» يَتحدَّث إليه قائلًا: سأقول لك شيئًا لم أقُلْه في اجتماع الصباح ... إن معلوماتِنا تُؤكِّد أن الذين استولَوا على صندوق اليورانيوم الأسود قد يغامرون بتفجيره في المنطقة، إذا لم يَتمكَّنوا من الهرب به من البلاد، وبالطبع ستكونون أنتم أولَ ضحايا التفجير هناك.

قال «أحمد» على الفور: إن الموت يا سيدي لا يُخيفنا ... وحياتُنا أهونُ شيءٍ نقدِّمه في سبيل الوطن.

رقم «صفر»: إذن عليكم أن تبدءوا فورًا ... والله معكم.

ماذا في حزام الغريق؟

في صباح اليوم التالي كان الشياطين الـ «١٣» جميعًا يركبون السيارات الحمراء ماركة «بورش» المزوَّدة بأجهزة مضاعفة السرعة، وينطلقون من المقر السِّري الرئيسي في طريقهم إلى أقرب مطار؛ ليستقلوا منه الطائرات إلى «القاهرة» ... لقد قَسَّمهم «أحمد» إلى مجموعاتٍ ثلاثية، وسافر هو وحده، وكان الترتيب يقضي أن يصل هو أولًا ثم يصل بقية الشياطين على أربعة دفعات، كل دفعة مكوَّنة من ثلاثة معًا ... وقد تم إعداد كلِّ شيء في المقر السِّري؛ جوازات سفر بأسماء مستعارة، خرائط لمنطقة المغامرة المقبلة، وسائل اتصال شفرية لم يسبق استعمالها ... كل شيء يمكن أن يخدم المغامرة المقبلة ...

عندما وصل «أحمد» إلى مطار «القاهرة» جلس في كافيتريا المطار حسب الخطة، وكان على كل مجموعة من الشياطين تصل أن تمرَّ عليه ... وفي تمام الساعة التاسعة مساءً كان الشياطين الـ «١٣» جميعًا قد وصلوا إلى «القاهرة»، وانقسموا إلى قسمين؛ الأول: وفيه «أحمد»، اتجه إلى المقر الفرعي «ك. ش١٠» في ميدان السد العالي في الدقي، الثاني: وفيه «عثمان»، اتجه إلى المقر الفرعي «ك. ش٢٠» في شارع الهرم خلف أوبرج الأهرام.

وعندما اجتمع الفريق الأول في المقر قال «أحمد»: بعد العشاء سنعقد اجتماعًا سريعًا لتوزيع المهمات على كلِّ واحد ... لقد وضعت خطةً مبدئيةً، سنعمل على تنفيذها قدر الإمكان ...

قام الشياطين السبعة بإجراءات الأمن المعتادة، ثم أخرجوا من المخازن السرية الأسلحة اللازمة، وبعد أن جهزت «إلهام» و«زبيدة» العشاء، جلسوا يتناولونه في صمت، كان كلٌّ منهم يفكر في المهمة المقبلة ...

وما إن انتهى العشاء حتى تحدَّث «أحمد» على الفور: هناك ثلاث سيارات من طراز «رينو ١٦» المزودة بأجهزة مضاعفة السرعة، في الصباح سوف نأخذ اثنين منهما وننطلق

إلى «الفيوم»، المسافة نحو مائة كيلومتر. سنقيم معسكرَين؛ أحدهما عند منطقة «قرية شكشوك»، والثاني عند «جزيرة القرن الذهبي» على بُعد خمسة كيلومترات من الأول ... سيكون الاتصال بيننا عن طريق «الووكي توكي» بالشفرة رقم ٣ من دفتر الشفرة ... المعسكر الأول «أحمد» و«إلهام» و«بو عمير» ... المعسكر الثاني من الباقين.

قالت «إلهام»: ومجموعة «عثمان»؟

أحمد: عند مجموعة «عثمان» نسخة من هذه الخطة، وهو الآن يقوم بتوزيعها على من معه من الزملاء في «ك. ش٢٠»، وسيتمُّ التوزيع هناك على أساس معسكر عند التقاء الطرق المؤدية من «القاهرة» إلى «الفيوم»، وهي ما تسمى «النقطة الثابتة»، ومعسكر آخر عند «جبل الزينة» على مشارف بحيرة «قارون» ... وبهذا نكون قد أحكمنا الحصار حول المنطقة، وتكون الأماكن التي يمكن أن يتحرَّكَ فيها الخبراء وغيرهم محصورة بين المعسكرات الأربعة ...

بو عمير: ما هو نوع تحرُّكاتِنا في المنطقة؟

أحمد: تحرُّكات طلبة في الجامعة، من هواة صيد السمك والتفرُّج على الآثار، فهذا يُتيح لنا حرية الحركة ...

في الصباح الباكر كانت سيارتان من طراز «رينو ١٦» منطلقتان على طريق «القاهرة-الفيوم». وكان «أحمد» يقود السيارة الأولى ومعه «إلهام» و«بو عمير»، و«باسم» يقود السيارة الثانية، وفيها «ريما» و«قيس»، وتحدَّث «أحمد» مع «باسم» وطلَبَ منه أن يسبقه ليعسكر في منطقة «جزيرة القرن الذهبي» ... فأطلق «باسم» لسيارته العِنان، ووصل إلى نهاية الطريق الصحراوي بعد أقل من ساعة، ثم بدأ يدخل في المنطقة المزروعة ...

كان الجوُّ صحوًا ودافئًا رغم أنَّ مَوْسمَ الشتاء كان في منتصفه، وتبادل «باسم» مع «أحمد» الحديث قائلًا: سأدخل الآن المنطقة المزروعة ... هل هناك تعليمات؟

أحمد: لا ... بعد أن تجاوز المنطقة المزروعة ستصل إلى منطقة ساحل البحيرة، اتبع الساحل حتى تواجه الجزيرة وعسكِرْ هناك ... حظ سعيد.

باسم: شكرًا ...

بعد ربع ساعة كانت السيارة التي يقودها «أحمد» قد وصلت إلى منطقة الشاطئ، ولاحظ على الفور وهو على جبل الزينة المرتفع نسبيًّا عددًا كبيرًا من الأشخاص مُتجمِّعًا عند الشاطئ، ولاحظ ولدًا يجري من الشاطئ صاعدًا في اتجاه السيارة، وكان يمسك بيده شيئًا يُشبه قطعةً من الحبل سوداء اللون ...

أوقف «أحمد» السيارة بحيث تعترض طريق الولد الصغير، حتى إذا اقترب الولد وهو يلهث قال له «أحمد»: ماذا يفعلون هناك؟

وأشار إلى حيث تجمَّع الناس، فقال الولد: غريق ... رجل غريق!

وكأنما تذكَّر شيئًا، فحاول أن يُخفيَ ما بيده ... ولاحظ «أحمد» على الفور أنه حزام من الجلد الأسود ... فقال له: ما هذا؟

ردَّ الولد وقد احمرَّ وجهُه متلعثمًا: إنه ... إنه ...

ابتسم «أحمد» حتى يخففَ من ارتباك الولد، وقال له: هل عثرت به هناك؟

الولد: نعم ... إنَّ الطبيب هناك، وقد خلعوا ثيابَ الغريق ... و... ووقع هذا الحزام!

سأل «أحمد» الولد: هل هو من هنا؟

ردَّ الولد: لا ... إنه ليس من البركة.

وعرف «أحمد» على الفَوْر أنَّه يقصِدُ بالبركة «بحيرة قارون» وخفق قلبه، هل يمكن أن يكون أحد الخبراء الأجانب؟

أحمد: هل عرفت اسمه؟

الولد: لا ... لا أحد يعرف اسمه. لا أحد يعرفه.

مدَّ «أحمد» يده للولد الصغير بخمسين قرشًا وقال له: اشترِ لنفسك حزامًا جديدًا ... إنهم قد يحتاجون هذا الحزام لمعرفة صاحبه.

بدا التردُّد على وجه الولد لحظات ... ثم مدَّ يده اليسرى بالحزام، وبيده اليمنى أخذ الخمسين قرشًا، ثم انطلق يعدو ...

أمسك «أحمد» بالحزام في يده، تأمَّله لحظات. ولو كان هذا الحزام في يد شخص آخر لما رأى فيه أكثر من قطعة من الجلد السميك، ولكن بين أصابع «أحمد» المُدرَّبة أصبح الحزام شيئًا آخر ... لقد أدرك — بعد أن تحسَّسه من طرفه إلى طرفه — أنَّ الحزام يُخفِي شيئًا ... ناوله لـ «إلهام» قائلًا: فتِّشي هذا الحزام ... أعتقد أنَّ فيه ما يستحقُّ الفحص.

ثم فتح الباب ونزل قائلًا: سأعود بعد دقائق ...

هبط «أحمد» سفح التل الصغير المسمَّى بـ «جبل الزينة» متجهًا إلى حيث كان التجمُّع، وعندما اقترب سمع الأحاديث التي يتناقلها الموجودون، فتوقَّف لحظات وحصل على المعلومات التي يريدها دون أن يسأل أحدًا ... الغريق مجهول الاسم، ليس معه أية أوراق تدلُّ على شخصيته. الطبيب سيقوم بالتشريح لمعرفة سبب الوفاة. الطبيب يؤكد أن الرجل ليس مصريًّا، هناك آثار خدوش على الجلد، هناك احتمال أن تكون الوفاة جنائية ...

اكتفى «أحمد» بما سمع من المتحدِّثين، ثم اندسَّ بينهم ونظر إلى حيث كان الغريق مُمدَّدًا على قطعة من الخشب على الشاطئ، وكانت نظرة واحدة إلى الحذاء المخلوع وبعض الملابس كافيةً لأن تؤكد أنَّ الرجل ليس مصريًّا، خاصةً عندما لمح «أحمد» شعره الأشقر، ثم الخاتم الذي في إصبعه.

لم يشأ «أحمد» أن يَلفت إليه الانتباه، فانسحب في هدوءٍ ثم عاد إلى السيارة مسرعًا، وعندما فتح الباب ليركب قالت «إلهام»: هناك جيب سري في الحزام، ولكن يجب فتحه بعناية ... لهذا أرى أن ننتظر ولا نغامر بفتحه الآن ...

أحمد: عظيم ... ربما نكون قد عثرنا على خيط ... فنحن في هذه المرة لا نملك معلوماتٍ كافيةً للحركة، ويجب أن نعتمد على أنفسنا في جمع المعلومات ... وقد تأكدت فعلًا — كما قال الولد الصغير — أنَّ الغريقَ ليس من هذه الأنحاء، بل في الأغلب أنه ليس مصريًّا، وهذا هامٌّ جدًّا بالنسبة لنا، وعلينا أن نتصل برقم «صفر» فورًا، ونرسل له تقريرًا عن هذا الغريق، وما قد نجده في الحزام من معلومات أو آثار، لعله عن طريقها يستطيع أن يساعدنا في تحديد موقفنا من سرقة الصندوق الأسود.

قالت «إلهام»: إنَّ معنا جهازًا لاسلكيًّا من نوعٍ قويٍّ، وبمجرد أن نجد مكانًا سأتمكن في خلال ساعة من تشغيل الجهاز وإرسال التقرير المطلوب.

وانطلقت السيارة، وبعد عشر دقائق كان الشياطين الثلاثة يقفون أمام فندق «البافون دي شاس» الصغير، وسرعان ما حجزوا ثلاثَ غرفٍ لإقامتهم. وفي غرفة «إلهام» وفي داخل الدولاب الخشبي الكبير تمَّ تركيبُ جهاز الإرسال. وفي نفس الوقت كان «أحمد» و«بو عمير» قد أخرجا مجموعة من الآلات الدقيقة، وقام «بو عمير» بفكِّ الخيوط التي تربط جلد الحزام ببراعة ودقة، وسرعان ما بدت ورقة زرقاء رقيقة ممتدة نحو عشرة سنتيمترات، وعندما أخرجها «بو عمير» بحرصٍ شديدٍ لاحظ على الفور أن المياه قد تسرَّبت إلى بعض أجزائها، فأخذ يفكُّها بعنايةٍ شديدة، ثم أخرج بطارية قوية وسلَّط شعاعها على الورقة لتجف ...

كان على الورقة مجموعةٌ من الرموز الشفرية بالأرقام والحروف، وكان بجوار هذه الأرقام والحروف رسم غريب، مكوَّن من مجموعة من الأجزاء الصغيرة، وعليها إشارات بالأسهم ...

قال «بو عمير»: قد يمكن حلُّ الشفرة المكتوبة، ولكني لا أفهم ما هي حكاية هذا الرسم العجيب.

تناول «أحمد» الورقة وأخذ يتأمَّلُها ... ثم قال: من الواضح أنه رسمٌ توضيحيٌّ لتركيب شيء ما ... ربما!

نظر إليه «بو عمير» وقال: ربما ... قنبلة ذرية!

أحمد: إن هذا شيءٌ مستحيلٌ! ... إن تركيب قنبلة ذرِّية بطريقة نظرية ممكن، ولكن عمليًّا، أمر بالغ الصعوبة. ويحتاج إلى أجهزة كثيرة لا يمكن أن تتوفر في هذا المكان.

بو عمير: مَن يدري ... لعل هناك مصنعًا في مكان ما من هذه الصَّحْراء البعيدة.

كان يقصد الصَّحْراء الغربية التي تكون الشاطئ الآخر لبحيرة «قارون» ...

دعوة إلى الغداء

نظر «أحمد» عبر النافذة ... كانت الصَّحْراء تبدو واضحة من بعيد، وهذه الصَّحْراء تمتدُّ من الحدود المصرية الليبية حتى المملكة المغربية، وتنتهي عند المحيط الأطلسي ... أكبر صَحْراء في العالم ... ففي أيِّ جزءٍ منها يمكن أن يكون هذا المصنع الذي يتحدَّث عنه «بو عمير» ...

عاد «أحمد» ببصره إلى الورقة، كانت الشفرة مقسمة إلى نصفين كعادة الشفرة ... في الجانب الأيمن الحروف، ثم رقم «الكود» في الناحية اليسرى ... وأخذ يقرأ الأرقام: ٣٩٦٤ – ١٥٦٣ ٧٢٦٠ – ٨٨٠٨ – ٣٠٤٣ – ٠٠١٢ وظلت الأرقام تتكرَّر حتى نهاية الصفحة. فقال «أحمد» معلقًا: إنها رسالة طويلة جدًّا، وأرجِّح أنها تعليمات لمجموعة من الرجال، وأنها تتعلق بخطة وليس مجرد تعليمات ... فالرسائل الشفرية عادة أقلُّ من هذا طولًا ...

إلهام: هل تعتقد أنَّ في إمكاننا حلَّها؟

أحمد: ذلك صعب، وسيقتضي بعض الوقت. و«هدى» — وهي المختصة بالشفرة — في مجموعة «عثمان»، و«ريما» ليس معها أجهزة تساعدها على الحل ...

بو عمير: إذن من الأفضل أن نرسلها الآن إلى رقم «صفر» ...

أحمد: طبعًا ... أعتقد أن خبراء تحليل الشفرة في «ك. س١٠» يمكنهم حلُّها في ساعاتٍ قليلة ...

إلهام: أمامي عمل كثير إذن، فاتركاني، وسأكون جاهزة في موعد الغداء ...

أحمد: عظيم ... وسوف نتجوَّل أنا و«بو عمير» قليلًا حول المكان.

خرج «أحمد» و«بو عمير» إلى ساحة الفندق ... كانت محاطة بسور من الطين والأعشاب والزروع، وفي وسطها بعض أشجار ضخمة تظلِّل المكان كله، وتُخفي خلفه

مبنى الفندق الخشبي الصغير الذي يشبه الفيلَّا ... وبعد السور كان ثمة طريق مرصوف، ثم سور من الصخر، ثم مياه البحيرة الداكنة، وقد وقف على شاطئها بعض الصيادين العائدين من الصيد ... ومن بعيد كانت تدوي بعض طلقات الصيادين الذين يصطادون الطيور المهاجرة التي تأتي من شمال أوروبا إلى دفء مصر ...

قال «بو عمير»: مكان نموذجي لإجازة.

قال «أحمد» مبتسمًا: ربما مرة أخرى ... ولكننا الآن وراء أخطر صندوق يمكن أن يتصوَّره إنسان، صندوق به كمية من عينة اليورانيوم، أثمن مادة في العالم.

بو عمير: أعتقد يا «أحمد» أننا وصلنا متأخرين. إن مثل هذا الصندوق ما دام قد اختفى، فكيف يمكن العثور عليه؟! ربما كان الآن في مكان ما خارج مصر، ونحن نحلم باستعادته.

أحمد: الحقيقة أنَّ هذه مغامرة من نوع جديد، فنحن لا نملك أيةَ معلومات عن عدونا، وكل ما نملكه بعض المعلومات عن الأشخاص الذين يعملون في مشروع استخراج المادة المُشعة من الرمال السوداء ...

بو عمير: هل يمكن أن يكون أحد الغرقى من هذه المجموعة؟

أحمد: ليس هذا ببعيد؛ فالرجل الغريق أشقر الشعر وهو في الأغلب ليس مصريًّا، وسوف نتأكد عندما يصلنا تقرير رقم «صفر» عنه، فسوف يقوم رجال الطب الشرعي بتصويره، وسيحدِّد لنا رقم «صفر» عن طريق الصور شخصية الغريق ...

سار الصديقان حتى عبرا بوابة الفندق الصغير، ثم اجتازا الشارع المرصوف إلى السور الصخري، ووقفا يتفرَّجان على الصيادين ... ولمح «بو عمير» قاربًا يقترب من الشاطئ، فأنعم النظر فيه ثم قال: هناك قارب صيد يقترب إلى يمينك ... به شخص أعتقد أنه من الخمسة الذين يعملون في المشروع.

نظر «أحمد» إلى حيث قال «بو عمير»، وأخذ يُحدِّق في القارب ثم قال: معك حق ... إنه الدكتور «ك. باتريك» أستاذ الموادِّ المُشعة، والرجل الثاني في المجموعة، فها هو «البايب» في جانب فمه، وبندقية الصيد في كتفه، وكذلك سنارة صيد السمك.

بو عمير: تعالَ نتعرف به.

أحمد: إنه ينزل في نفس الفندق. لندع التعرف به للظروف.

قال «بو عمير» باسمًا: سأتعرف به بطريقة جديدة ... انتظر أنت هنا.

وقف «أحمد» ينظر إلى «بو عمير» وهو يقفز السور الصخري، ثم يصل إلى الشاطئ في نفس الوقت الذي وصل فيه القارب الصغير ... كان الشياطين قد درسوا في المقر السِّري

عشراتِ الطرق للتعرُّف على الأشخاص ... وأخذ يراقب «بو عمير» ليرى أيَّ طريقة سوف يُطبِّق، وابتسم وهو يرى «بو عمير» يُطبِّق طريقة التعرُّف «بالقوة»، فقد اندفع «بو عمير» إلى الدكتور «باتريك» صائحًا بالإنجليزية: مرحبًا بك يا سيدي!

وبدت الدهشة في عين الدكتور «باتريك»، فهو بالطبع لم يرَ «بو عمير» في حياته ... ولكن «بو عمير» لم يتراجع وقدَّم له نفسه باسمه المستعار: إنني «عمر باهي» من المغرب، وقد كنت تُدرِّس لي الطبيعة في المدرسة.

قال الدكتور «باتريك»: آسف يا صديقي ... لا بُدَّ أنَّ هناك سوءَ تفاهم، فأنا لم أذهب إلى المغرب، ولم أشتغل بتدريس الطبيعة.

بو عمير: مدهش يا سيدي ... يخلق من الشبه أربعين!

باتريك: ومع ذلك ... مرحبًا بك، ويَسرُّني أن أتعرَّف عليك.

بو عمير: آسف جدًّا لإزعاجك.

باتريك: أبدًا ... إنني أنزل في هذا الفندق، فأين تنزل أنت؟

بو عمير: يا للصدفة الطيبة ... في نفس الفندق.

باتريك: وهل أنت من هواة دراسة العلوم الطبيعية؟

بو عمير: نعم ... وقد جئت مع بعض أصدقائي هنا لرصد بعض الظواهر الطبيعية في بحيرة «قارون».

في هذه اللحظة وصلت «إلهام» قادمةً من غرفتها، ووقفت بجوار «أحمد» وقالت: لقد أرسلت التقرير، كان في غاية الصعوبة ...

أحمد: طبعًا ... إنك تُرسلين شفرة، بالشفرة.

إلهام: وماذا يفعل «بو عمير» على القارب؟

أحمد: لقد أقحم نفسه على الدكتور «باتريك»، فنحن في حاجة للتعرُّف على المجموعة التي تعمل في مشروع استخلاص اليورانيوم ... نريد أن نتعرَّف إليهم بطريقة طبيعية ...

وابتسم «أحمد» وهو يرى «بو عمير» يحمل الطيور التي اصطادها الدكتور «باتريك» ويتقدَّمه إلى الفندق. وعندما وصل الاثنان قرب «أحمد» و«إلهام» أشار إليهما «بو عمير» وقال: يسعدني أن أقدِّم لك زميلَيَّ.

ثم قدَّمهما له باسمَين مستعارَين، وقدَّم الدكتور «باتريك» لهما، ووقف الجميع يتحدَّثون عن الصيد ... ولاحظ الشياطين الثلاثة أن دكتور «باتريك» لم يتحدث عن عمله في المنطقة، وفهموا طبعًا أنها تعليمات من جهات الأمن.

دعاهم دكتور «باتريك» إلى غداء من طيور البحر، وقال: إنه يتوقَّع أن يكون الغداء جاهزًا بعد ساعتين ... ونظر «أحمد» إلى ساعته، ووجدها قد اقتربت من الثانية عشرة، فقال: يسعدنا أن نلبِّيَ هذه الدعوة يا دكتور ...

وانصرف «باتريك» وعلَّقت «إلهام» قائلة: إنه رجل بسيط واجتماعي جدًّا ...

وفجأة بدا على «إلهام» نوع من الاضطراب ثم قالت: سأصعد إلى غرفتي.

أحمد: ماذا حدث؟

نظرت «إلهام» إلى ساعتها وقالت: هناك رسالة! وأسرعت إلى الفندق وتبِعَها «أحمد» و«بو عمير»، وعندما وصلا إلى غرفة «إلهام» وجداها قد أغلقت الباب فدخلا إلى غرفة «أحمد»، وأخذا يتحدَّثان محاولَيْن استنتاجَ فَحْوى الرسالة، وقال «بو عمير»: لا أظنُّ أنَّ رقم «صفر» يمكن أن يردَّ بهذه السرعة، فمن المؤكد أنَّ التحقيقات حول الرجل الغريق لم تصله بعد ...

لم يَطُل انتظار الصديقين. فقد سمعا ثلاثَ دقَّاتٍ ثم دقَّةً واحدةً على الحائط الخشبي الذي يفصل بين غرف الفندق، وأسرع «أحمد» يفتح الباب، وبعد لحظات ظهرت «إلهام» وفي يدها ورقة صغيرة ... قال «أحمد»: ماذا هنالك؟

إلهام: رسالة من مجموعة «القرن الذهبي» ...

انتبه «أحمد» و«بو عمير»، وقالت «إلهام» وهي تنظر في الورقة: من «ش. ك. س٢٠» إلى «ش. ك. س١٠»، عثر بعض الصيادين هذا الصباح على حقيبة غارقة ... الحقيبة كانت قُرْبَ الشاطئ الغربي للبحيرة، ووقعت في شباك الصيادين أثناء صيد السمك في هذه المنطقة ... استطعنا معرفةَ ما في الحقيبة؛ مسدس من طراز «هورستال» البلجيكي، كمية من الطلقات، خنجر ونظارة مكبرة، بعض الثياب الداخلية، جهاز لاسلكي صغير، بعض المفاتيح والمفكات الكبيرة، خريطة واضحة جدًّا لبحيرة «قارون»، علامة x على منطقة تقع بين البحيرة و«وادي الريَّان» ... سيسلم الصيادون الحقيبة إلى رجال خفر السواحل.

أخرجت «إلهام» من جيبها ولَّاعةً صغيرة، ثم قالت: هل أقرأ الرسالة مرة أخرى؟

أحمد: لا ... لقد استوعبت ما فيها.

قامت «إلهام» بإشعال الورقة حتى احترقت تمامًا، ثم ألقتها من النافذة، وقال «بو عمير»: أعتقد أنَّ لهذه الحقيبة عَلاقةً بالرجل الغريق.

نظر إليه «أحمد» طويلًا ثم قال: ممكن ... لقد دفعت الأمواج بجثة الرجل إلى الشاطئ الشرقي، بينما رست الحقيبة الثقيلة بما فيها من أدوات على قاع البحيرة، وخرجت مع شباك الصيادين.

إلهام: علينا أن نرسل تقريرًا آخر إلى رقم «صفر».

أحمد: ليس هذا فقط ... علينا أيضًا أن نرسل هذه المعلومات إلى مجموعة «فهد»، وأن نرسل إلى مجموعة «عثمان» بموضوع الرجل الغريق ...

ابتسمت «إلهام»، ولكنها لم تكن ابتسامة راضية. فمعنى هذا كله أنها ستظل تعمل على جهاز الإرسال ساعاتٍ طويلة ...

قال «أحمد» يشجِّعها: لا بأس، إن المهمة تستحقُّ هذا التعب ...

هزَّت «إلهام» رأسها ثم عادت إلى غرفتها، بينما وقف «أحمد» و«بو عمير» صامتَيْن ... لقد تحرَّكت الأحداث بسرعة كبيرة، ومن المتوقَّع أن يتمكَّنوا من وضع أيديهم على شيء. ولكن السؤال المهم الذي لا يمكن الإجابة عليه هو ... هل الصندوق الأسود ما زال في المنطقة؟

لقد جاءوا للإجابة على هذا السؤال ... فإن كان بالإيجاب، فلن يقفَ شيءٌ في طريقهم حتى يحصلوا عليه، فماذا تحمل الساعات القادمة؟ ...

أربع نقاط في التقرير

عندما حان موعد الغداء، شاهد «بو عمير» و«أحمد» صديقهما الجديد الدكتور «باتريك» يخرج إلى الشرفة، ويبحث بعينيه عنهما، وأشار له «بو عمير» بذراعه مُحييًا، فأشار لهما بأنَّ الطعام جاهز ... وكانت مائدة صغيرة وُضعت في الشرفة وجلست إليها سيدة، عرف الصديقان على الفور أنها الدكتورة «هيلدا»، وكان معها ابنتها، وقد ابتسمت لهما مُرحِّبة ... وقام الدكتور «باتريك» بواجب التعارف بين الجميع، وعرف «أحمد» و«بو عمير» أنَّ اسم الفتاة الصغيرة هو «جيفكا»، وقد كانت «جيفكا» مبهورةً بالحياة في «قارون»، وتودُّ أن تقضيَ بقيةَ عمرها في أرض الفراعنة ...

وجاءت أطباق الطيور البحرية المُحمَّرة، وابتسم «أحمد» وهو يقول: ربما كانت رائحة هذه الطيور المُحمَّرة هي أروع رائحة في العالم، وقد قرأت أنَّ «تشرشل» رئيس وزراء إنجلترا و«روزفلت» رئيس جمهورية أمريكا أثناء الحرب العالمية الثانية، أتيا إلى «قارون» وطلبا الغداء من هذه الطيور.

قال الدكتور «باتريك»: معك حق ... خاصة أن الطاهي يُعدُّها بطريقة خاصة يسمونها الطريقة الدمياطية، وتعتمد على البصل والبهارات.

كانت الدكتورة «هيلدا» قد وضعت لتوِّها قطعةً من صدر البطة في فمها، وأخذت تمضغها متلذِّذة، وقالت: نعم، نعم، إن طعمها رائع حقًّا.

ودار الحديث حول الطعام فترة، ثم اتجه إلى مختلف أوجه الحياة، ولاحظ الصديقان أن «هيلدا» و«باتريك» لا يتحدثان مطلقًا عن عملهما. وأراد «أحمد» أن يجرِّبَ اختبارًا مُهمًّا، فقال: لقد وجدوا غريقًا اليوم في البحيرة.

قال «باتريك» بهدوء: نعم، لقد علمت هذا، وسمعت أنه ليس من سُكَّان المنطقة، وهم يُرجِّحون أنه أجنبي.

هيلدا: لقد اتصلت بأصدقائي هنا وتأكدتُ أنه ليس من المجموعة التي أعرفها.

وأدرك «أحمد» أن الغريق ليس من فريق أبحاث اليورانيوم فقال: لعله أحد السيَّاح الذين خرجوا للصيد في البحيرة.

هزَّ «باتريك» رأسه وقال: ربما ... ولكن كيف يغرق صياد في هذه البحيرة الساكنة؟

أحمد: هل تظن أنها جريمة مُدبَّرة؟

هزَّ «باتريك» رأسه قائلًا: مَن يدري؟!

وساد الصمت حتى انتهى الطعام، وشكر الصديقان مضيفَهما، ثم عادا إلى غرفتيهما، ووجدا «إلهام» قد تناولت طعامها، وجلست في انتظارهما، وقالت عندما رأتهما: سنتلقَّى رسالة من رقم «صفر» مساءً ... وحتى يحين موعدها مؤقتًا سأرتاح ...

أحمد: لقد أتعبتِ نفسكِ كثيرًا مع الشفرة والأجهزة، سأراكِ في السادسة ...

في المساء خرج «أحمد» و«إلهام» يتمشيان على شاطئ البحيرة في اتجاه جزيرة «القرن الذهبي» ... كانت المنطقة مظلمة، فليست هناك إضاءة بعد قسم حرس السواحل، ويمتدُّ الشاطئ بعد ذلك في شبه نصف دائرة غارق في الظلام، لا يُضيئه سوى قمر صغير يظهر ويختفي خلفَ السحب الداكنة التي أخذت تتجمَّع في الأفق الغربي ...

كانت هناك نسمة باردة منعشة، وقد استعدَّ كلٌّ منهما ببلوفر وضعه على كتفه، وكان «بو عمير» يجلس بجوار غرفة «إلهام» حيث وضعت جهاز اللاسلكي بمهارة في الدولاب في انتظار تلقِّي رسالة رقم «صفر» التي قد تأتي في أية لحظة ...

تجاوز «أحمد» و«إلهام» منطقة القسم، وقد أطبق الظلام تمامًا على المنطقة، وأخذت الرياح تشتدُّ شيئًا فشيئًا، فشدَّ كل منهما البلوفر على كتفيه.

لم يتحدَّثا فقد كان من الصعب أن يسمع أحدُهما الآخر مع شدة الرياح، وبعد نحو ربع ساعة صاحت «إلهام»: أليس من الأفضل أن تعود؟

صاح «أحمد» يرد: في إمكاننا أن نصلَ إلى معسكر «عثمان».

إلهام (بصوت مرتفع): ولكن رسالة رقم «صفر» قد تصل في أية لحظة، وقد تحتاج إلى تصرُّف سريع.

كان «أحمد» يُرهف أذنَيه لسماع «إلهام» ولكن خُيِّل إليه أنه يستمع إلى صوت آخر فأشار لها أن تسكُت، ثم توقَّفا عن السير، وقد صَدَقَه سمعه ... وبالفعل كانت هناك صيحة استغاثة واضحة، سمعها هو وسمعتها «إلهام»، وحدَّدا مصدرها على الفور، كانت قادمة

من مكان أمامهما لا يبعد عنهما أكثر من عشرين مترًا ... وسرعان ما انطلقا يجريان نحو مصدر الصوت، وفي ثوانٍ قليلةٍ شاهدا على ضوء القمر الضعيف ثلاثةَ رجالٍ ينحنون على رجل رابع، وهم ينتزعون منه حقيبةً متوسطةَ الحجم ... ولم يحسَّ «أحمد» بالندم في حياته كما أحسَّ في هذه اللحظة؛ فإنه لم يكن يحمل سلاحًا ...

اختفي ضوء «القمر». وظهر ضوء رَصاصة أُطلقت من أحد الرجال في اتجاه «أحمد» و«إلهام»، ولكن طاش التصويب، وقفز «أحمد» يمينًا، وقفزت «إلهام» يسارًا، ودار «أحمد» على يديه وقدميه دورةً أشبه بالساقية، وانتهى وهو ينقضُّ على أحد الرجال الثلاثة بلكمة جعلته يدور حول نفسه ثم يسقط ... واستدار «أحمد» إلى الرجل الثاني، ولكن الرجل كان قد أسرع يحمل الحقيبة وانطلق ناحية الشاطئ ...

انحنى «أحمد» على الرجل المصاب، بينما تولَّتْ «إلهام» الرجل الثالث، مدَّتْ يدَيها وأمسكت بذراعه فثنته حتى كادت تكسِرَ عظامه، ثم دارت به دورةً واسعةً وأطلقت ساقها بضربةٍ مُوجعةٍ أصابت بطنه فصاح صيحةً قويةً، ولكنه لم يقع بل انطلق يجري إلى الشاطئ ...

كان الرجل المصاب من رجال الشرطة، وبسرعة ربط «أحمد» بين الحقيبة التي عثر عليها الصيادون في الصباح والحقيبة التي استولى عليها الثلاثة، وأحسَّ أنَّ السرقة ليست سرقةً عاديَّةً، ولا بُدَّ أنَّ لها عَلاقةً بهؤلاءِ الثلاثة ... وهكذا ترك المصاب وصاح بـ «إلهام»: اعتني به ...

ثم انطلق يعدو إلى الشاطئ، وانطلق سيل من الرَّصاص في اتجاهه، فألقى بنفسه على الأرض، وأحسَّ بألم كلسعة النار في كتفه، وأدرك أن إحدى الطلقات قد أصابته، وحرَّك ذراعه، ولم تكن هناك إصابة في العظام رغم الآلام المبرحة، وأخذ يزحف سريعًا علَّه يلحق بالقارب. وفي هذه اللحظة مرَّ به الرجل الثالث يجري وفكَّر أن يهاجمه، ولكن ذراعه المصابة أنذرته بالخطر، فاكتفى بأنْ ينظر إلى شبحه وهو يجتاز حدودَ الرمال إلى المياه، وأخذ «أحمد» يزحف سريعًا حتى اقترب من الشاطئ، واستطاع وهو ينظر في مستوى سطح المياه أن يرى القارب المطَّاط وهو يحمل الرجال الثلاثة مبتعدًا ...

لم يكن هناك فائدة من مزيد من المراقبة، فقام عائدًا إلى حيث كانت «إلهام» تُعنى بالرجل المصاب. وعندما وصل وجد «إلهام» واقفةً، وسألها «أحمد» بلهفة: كيف حاله؟

ردَّت «إلهام» بأسف: أعتقد أنَّ إصابته بالغة، ولا أدري إن كان سيعيش أم لا ...

أحمد: لا بُدَّ من إبلاغ قسم السواحل القريب ...

إلهام: هيَّا إذن بسرعة، فكلُّ دقيقةٍ لها قيمتها في حياة الرجل ...

تردَّد «أحمد» لحظات، ثم قال: من الأفضل الاتصال بهم تلفونيًّا من الفندق وإبلاغهم باسم مجهول، فليس لنا مصلحةٌ في الظهور على مسرح الحوادث، بل إنَّ هذا قد يُعرِّضنا لمتاعبَ لا داعي لها.

وافقت «إلهام» وسارا معًا عائدَيْن، واختارا أن يدورا حول قسم حرس السواحل من خلال المزارع، حتى وصلا إلى الفندق، ومع أول ضوء في الحديقة اكتشفت «إلهام» أنه مصابٌ، فقد كان الدم يُغطِّي ذراعه.

قالت «إلهام» جزعة: أنت مصاب؟

ردَّ «أحمد»: لا شيء ذا أهمية ... الرصاصة أصابت لحم الكتف ونفذت منه، المهم أريد أن أدخل دون أن يرى أحد الإصابة.

إلهام: ضع كتفك في كتفي، وسنسير بعيدًا عن الأضواء ...

والتصق الكتفان، وصَعِدَا معًا سلالم الفندق الصغير. وقال «أحمد»: اذهبي أنتِ إلى غرفتكِ واتصلي بحرس السواحل، وأبلغي عن الحادث ...

سمع «بو عمير» صوت «أحمد» وهو يدخل غرفته فأسرع إليه، وأخذ «أحمد» يروي له ما حدث، بينما قام «بو عمير» بخلع ثياب «أحمد» وأخرج بعض العقاقير المُطهِّرة، وقام بتطهير الجرح ثم ربطه.

قال «بو عمير»: الحمد لله، الإصابة ليست عميقة، ولكن ستحتاج لبعض الوقت.

أحمد: إنني أريدك أن تتصل فورًا بـ «عثمان»، أريد أن نقوم الآن بمسح شواطئ البحيرة، إنني أتوقَّع أن نجدَ شيئًا.

بو عمير: ماذا تتوقَّع أن نجد في الظلام؟

أحمد: لا أدري بالضبط، ولكن وجود هذا القارب المطَّاط في بحيرة قارون ملفت للنظر ... ثم هؤلاء الرجال الثلاثة الذين سرقوا الصندوق، واعتدَوْا على رجل الشرطة، مَن هم؟ ومِن أين جاءوا؟ وماذا يهمهم في هذه الحقيبة؟! إننا نعرف محتوياتها، لم يكن صندوقًا، كان حقيبةً وليس فيها شيء يستحقُّ أن تُرْتكَبَ من أجله جناية قتل.

وأخرج «بو عمير» جهاز «الووكي توكي» من الحقيبة، وسرعان ما كان يتحدَّث مع مجموعة «عثمان»، واتفقوا على أن يأتيَ «عثمان» ومعه اثنان من الشياطين في قارب على أن يكون اللقاء في منتصف الليل تمامًا ...

قال «أحمد»: لقد تأخرت «إلهام».

بو عمير: لعل تقرير رقم «صفر» قد وصل.

وقد صَدَقَ ظنُّ «بو عمير»؛ بعد ربع ساعة تقريبًا دخلت «إلهام» تحمل في يدها ورقة صغيرة وقالت: وصل تقرير رقم «صفر».

وانتبه «أحمد» و«بو عمير» فمضت «إلهام» تقول: التقرير قصير … مُكوَّن من أربع نقاط:

أولًا: الرجل مجهول …

ثانيًا: ليس في الحقيبة ما يهم …

ثالثًا: الرسومات والرموز التي وُجدت في الورقة الصغيرة داخل الحزام تدلُّ على عملية تجميع لآلة لا نستطيعُ تحديدَ نوعها … ولكن الأغلب أنها آلة صغيرة قد تكون في حجم موتور سيارة ولكن قوية …

رابعًا: معلوماتنا تؤكِّد أن الصندوق الأسود الذي به عيِّنة اليورانيوم ما زال في المنطقة …

الضوء والكلام

استعدَّ الشياطين، وفي منتصف الليل تمامًا كان الثلاثة «أحمد» و«إلهام» و«بو عمير» يستقلُّون قاربًا ويحومون به حول الشاطئ ... وسرعان ما ظهر «عثمان» ومجموعته «فهد» و«زبيدة» ... وتبادل الستة التحيَّات السريعة، وتبادل الفريقان المعلومات، واتفقوا على الاتجاه إلى جزيرة «القرن الذهبي»، وهي أقرب مكان يحتمل أن يكون الرجال الثلاثة قد اتجهوا إليه بالقارب ... وكانت المسافة بين شاطئ الفندق حيث اجتمعوا وبين الجزيرة نحو عشرين كيلومترًا، وسرعان ما أخذت المجاديف تضرب صفحة المياه، وكان «بو عمير» يتولَّى التجديف، فلم يكن ذراع «أحمد» المصاب يسمح له بالحركة، وكانت «إلهام» تساعده. وفي القارب الآخر كان «عثمان» يتولَّى التجديف ويساعده «فهد»، وكانت هناك ريح قوية تهبُّ من مسطح الصَّحْراء الواسع على سطح البحيرة، فأخذ القاربان يتأرجحان بشدة، ولكن قوة عضلات الشياطين استطاعت أن تتغلب على الريح المعاكسة وأن تمضيَ بالقاربين في الاتجاه المطلوب ...

أخيرًا برزت في الظلام كتلة جزيرة «القرن الذهبي»، وكانت معلومات «أحمد» عنها أنها جزيرة قاحلة وسط بحيرة «قارون»، مساحتها ٥٠٠ فدان، صخرية وعرة، كانت تعيش بها بعض قطعان الغزال ثم انقرضت، ولم يبقَ عليها من الأحياء إلَّا نوع من السحالي الضخمة تعيش بين صخورها الضخمة العالية.

لم يكن في ذهن «أحمد» خطة معينة، كان كلُّ ما يرجوه هو أن يجدَ شيئًا يدله على اتجاه القارب الذي استقلَّه الرجال الثلاثة، والذي كان يعتقد أنَّ لهم صلةً قويةً بحادث الغريق والصندوق الأسود الخطير الذي يحوي عيِّنة اليورانيوم الثمينة ... وفكَّر أنها مصادفة طيبة التي وضعتهم مباشرة خلف ما جاءوا من أجله ...

أخذت الجزيرة التي تُشبه كتلة الفحم القاتمة تظهر أكثر فأكثر، وقال «أحمد»: ستدور أنت يا «بو عمير» ناحية اليمين، ويدور «عثمان» ناحية اليسار، وهكذا نحيط الجزيرة تمامًا، ولا بُدَّ أن يعثر أحد القاربين على أثرٍ ما في الجزيرة يهدينا إلى القارب الذي كان يركبه الرجال الثلاثة.

هدَّأ «بو عمير» من سرعته، فقد كان يسبق «عثمان» ببضعة أمتار، وعرف «عثمان» من إبطاء القارب أنهم سيتبادلون الحديث، وهكذا أبطأ قاربه هو الآخر والتصق القاربان، وفي كلمات قليلة شرح «أحمد» خطته التي استقرَّ عليها، ووافق «عثمان»، واتجه كلُّ قاربٍ في الناحية المضادة للآخر …

أخرج «أحمد» بطاريةً قويةً وسلَّط شعاعَها على شاطئ الجزيرة، بينما مضى «بو عمير» و«إلهام» يُجدِّفان بسرعة بسيطة ليُتيحا له فرصة المضيِّ على ضوء الكشَّاف. ونظرًا لارتفاع الأمواج، كانت مهمة ضبط توازن القارب مهمةً شاقة، ولكن الأمور سارت على ما يُرام، وأخذوا يدورون حول الجزيرة في الخط المرسوم، حتى أتمُّوا مهمتهم دون أن يجدوا أيَّ شيء يدلُّ على الرجال الثلاثة، ولا على أيِّ أثر لحياة.

لم يكن قارب «عثمان» قد وصل بعد، فوقفوا عند نقطة اللقاء المتَّفَق عليها في انتظار ظهوره، قالت «إلهام»: أظنُّ أننا لن نصل إلى شيء إلَّا في الصباح …

أحمد: أعتقد العكس، فهم في الصباح سيُخفون أنفسَهم جيدًا في أحد كهوف الجزيرة أو الشاطئ الغربي، ويصعُب العثور عليهم.

اشتدَّت الرياح، وزاد ارتفاع الأمواج، وقالت «إلهام»: إنني أشعر بالبرد.

قال «بو عمير» وهو يفرك كفَّيْه: فعلًا، اشتدَّ البرد … وقد تأخَّر «عثمان».

إلهام: ربما يكونون قد عثروا على شيء.

أحمد: لقد اتفقنا على ألَّا يتصرَّفوا مطلقًا إلَّا بعد أن نلتقي.

مضت الدقائق بطيئةً دون أن يظهر «عثمان» ومن معه، وبدأ القلقُ يتسرَّب إلى نفوس الشياطين الثلاثة … وعندما اكتملت نصف ساعة دون أن يظهر «عثمان»، قال «أحمد»: سنُجدِّف في اتجاه نصف الجزيرة الأيسر لندور حوله؛ ربما يكون قد حدث للقارب شيء.

ومضى «بو عمير» و«إلهام» يُجدِّفان بنشاط، وهو حلٌّ ممتاز للتغلُّب على البرد الذي يشعران به … وأضاء «أحمد» البطارية القوية، وأخذ يدور بضوئها في كلِّ اتجاه — علَّه يعثر على أثرٍ لقارب «عثمان» و«فهد» و«زبيدة» — دون جدوى، واشتدَّ قلقه … كيف اختفى القارب دون أن يصدر أي صوت مقاومة … هل يمكن أن يغرق القارب؟ حتى لو

غرق فإنَّ الشياطين جميعًا سبَّاحون مهَرَة ... هل أُطلقَ عليهم الرَّصاص دون أن يسمع هو و«بو عمير» و«إلهام»؟ كان ذلك ممكنًا لسبب تَبَيَّنَه في هذه اللحظة؛ هو أنَّ قارب «عثمان» كان يدور تحت اتجاه الريح، ومن الممكن أن يختفيَ الصوت؛ لأن الريح القوية ستحمله معها دون أن يصل إلى ناحيتهم ...

وعندما أتمَّ قارب «أحمد» نصف دورة الجزيرة دون أن يعثروا على قارب «عثمان» تأكَّد للثلاثة أنَّ شيئًا قد حدث ... وعندما أدار «أحمد» يده ليضع الكشاف خُيِّل إليه أنه يرى شيئًا يعوم، شيئًا أبيض اللون ... وسلَّط ضَوْءَ الكشَّاف في اتجاه ذلك الشيء وبالفعل، كان ثمَّة شيءٌ يعوم صاعدًا وهابطًا على الأمواج ...

صاح «أحمد»: لنتَّجه ناحية ضوء الكشاف يا «إلهام».

وأدارت «إلهام» اتجاه القارب ... وسرعان ما كان القارب يقترب تدريجيًّا من الشيء المجهول العائم على صفحة المياه السوداء، وعندما أوقف «بو عمير» القارب مدَّت «إلهام» مجدافها وقرَّبت الشيء الأبيض من القارب ثم التقطته بيدها وقالت: إنه ترمس الشاي الساخن الخاص بـ «زبيدة»!

صمت «أحمد» و«بو عمير» لحظات ... كان كلٌّ منهم يفكِّر فيما حدث ... لقد ذهب الشياطين الثلاثة «عثمان» و«فهد» و«زبيدة» ضحيةَ عملية غدر، وهم الآن في الأغلب يرقدون تحت المياه على قاع البحيرة السوداء.

ظلَّ القاربُ يتأرجح لحظات مكانَه دون أن يتحدَّث أحدٌ ثم فجأة تهشَّم زجاجُ البطارية التي يحملها «أحمد» وساد الظلام، وصاح «أحمد»: تحرَّكوا من المكان ...

لقد فهم الآن ما حدث ... رَصاصةٌ غادرةٌ صامتةٌ تُحطِّم مصدرَ الضَّوْء، ثم رَصاصات أخرى غادرة تقتل دون أن يستطيع أحد تحديد مصدرها ... وأخذ قاربهم يبتعد عن المكان، واستطاع «أحمد» أن يحدِّد مصدرَ الرَّصاص، فقد كان يلمع في الظلام، ولدهشته الشديدة وجد أنه يأتي من مصدرين، من الجزيرة، ومن نقطة على سطح البحيرة ... لا بُدَّ أنه قارب ... ورغم خطورة الموقف فقد أحسَّ «أحمد» أنه في قرارة نفسه مسرور، أخيرًا سيشتبكون مع العدوِّ الغامض، وقال: هل لبست المايوه يا «بو عمير»؟

ردَّ «بو عمير»: نعم ...

أحمد: هيَّا بنا ...

إلهام: إلى أين؟ إنك مصاب!

أحمد: سنذهب إلى الشاطئ. عليكِ أنتِ حمايتنا.

حرَّك «أحمد» ذراعَه المصابة، أحسَّ ببعض الألم لكنَّه لم يهتم، خلع ثيابَه وخلع «بو عمير» ثيابه، وربط كلٌّ منهما مسدسًا مُغطًّى بالبلاستيك حتى لا تُصيبه المياه، وخنجرًا على الساق، وكشَّافًا صغيرًا لا تنفُذ منه المياه، وقال «أحمد» لـ «إلهام»: إذا لم نظهر بعد الفجر، فاتصلي ببقية الشياطين ليحضروا، وبرقم «صفر» طبعًا ...

كانت «إلهام» تفكِّر ... لماذا لم يستمرَّ الضربُ عليهم؟ ... وهل اكتفى الرجال بإبعادهم عن مكانهم؟ ... لم يكن هناك سوى هذا التبرير للموقف ...

وقفز «أحمد» و«بو عمير» في المياه السوداء، وسرعان ما كانا يتقدَّمان صوبَ شاطئ الجزيرة الساكنة ... لم يكن في رأس «أحمد» أيةُ فكرةٍ عمَّا سيجده، كل ما كان يتمنَّاه هو أن يجد شيئًا يدلُّه على آثار زملائه الثلاثة بعد أن وجدوا ترمس الشاي الخاص بهم، والذي يُشير إلى أن قاربَهم قد غرِقَ قُرْبَ هذا المكان ...

وصل «أحمد» و«بو عمير» إلى صخرة ضخمة، ولحسن الحظِّ لم يرهما أحد، فلم يُطلَق عليهما أيُّ رَصاص، ولكن حدث فجأة ما فسَّر كلَّ شيء، فقد صَعِدَ من أعماق المياه السوداء رجل يلبس ملابس الغوص، وقبل أن يتبيَّن «أحمد» أو «بو عمير» ما سيفعله، كان قد قبض على رقبة «أحمد» وجرَّه معه إلى أعماق المياه ... التفت «بو عمير» مع رذاذ الماء فلم يجد «أحمد» ... وأدرك على الفَوْر أنَّ ما حدَثَ لا يمكن أن يكون إلَّا أنَّ قوةً ما قد جذبت «أحمد» إلى عمق المياه، فغاص فورًا. وأطلق شعاع بطاريته في المياه، وشاهد المعركةَ الناشبةَ بين «أحمد» والرجل، كان كلٌّ منهما قد استلَّ خنجرًا وأخذ يحاول طَعْنَ الآخر. وقدَّر «بو عمير» أنَّ ذراع «أحمد» المصابة لا بُدَّ ستجعله في موقف الأضعف. ولكنَّ الشيطان القوي «أحمد» كان يمسك زمام الموقف، وقد تشابكت الأيدي وأخذت الأقدام تضرب المياه، وكل منهما يحاول أن يتوازن.

كان للرجل ميزة كبرى على «أحمد»؛ أنه يتنفَّسُ براحةٍ فقد كان يحمل جهاز تنفُّس تحت الماء، بينما لم يكن مع «أحمد» مثل هذا الجهاز، وكان مُضطرًّا بين فترة وأخرى أن يصعد إلى سطح الماء ثم يعود، وفي كل مرة كان يجرُّ معه الرجل إلى فوق حتى لا يطعنَه أثناءَ صعوده ...

وقرَّر «بو عمير» أن يحسم الصراع. دار حول المتصارعين وهوى بكلِّ قوته على رأس الرجل بيد المسدس وسرعان ما تحوَّل الرجل إلى قطعه من القماش الطري. وأخذ يهوي إلى القاع ...

أشار «بو عمير» إلى «أحمد» بضوء البطارية، طالبًا منه الصعود إلى السطح، فلمَّا أصبح رأساهما فوق المياه قال «بو عمير»: أعتقد أنهما اصطادا بقية الشياطين بنفس الطريقة ... إنهم قريبون من الشاطئ ...

أحمد: هل تذهب في طلب النجدة؟

بو عمير: من الأفضل أن نهجم ... لقد خسروا واحدًا منهم، ولم يبقَ سوى رجلين فقط، ونحن قادرون على القضاء عليهما.

عاود الاثنان الغطسَ تحت الماء. ثم مضيا حتى وصلا إلى الشاطئ وصَعِدُوا إليه ... وقال «بو عمير» على الفور: توجد عوَّامة فارغة من الهواء.

ورفع يدَه أمام «أحمد» بالعوَّامة الفارغة وعاد يقول: إنهم قريبون منَّا جدًّا ...

وأشار «أحمد» له بالصمت ... لقد خُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا ما قريبًا منهم. وأصاخ «بو عمير» سمعه ... وفعلًا كان هناك ما يشبه صوت ضربات مكتومة تأتي خلف تلٍّ من تلالِ الشاطئ الصخرية. وقفز «أحمد» و«بو عمير» بسرعة ناحية الأصوات ... لقد أحيت الأمل في أن يكون الشياطين الثلاثة «عثمان» و«فهد» و«زبيدة» أحياء لم تبتلعْهم مياهُ البحيرة السوداء ...

تسلَّقا جانبَ التلِّ الصخري، وكانت مفاجأة ... كان تحته أربعة أشخاص مشتبكون في صراع ... ورغم الظلام فقد عرف «أحمد» قامة «فهد» ولونه «الأبيض» بين المتصارعين الأربعة ... وسرعان ما كان ينقضُّ على غريم «فهد» ويُوَجِّه له ضربةً على رقبته بسيف يده ... فصاح الرجل على أثرها صيحةً عاليةً ثم سقط على الأرض الصخرية.

وعندما تقدَّم «بو عمير» ليشتبك هو الآخر مع الرجل كالمجنون حتى وصل إلى الشاطئ واختفى ...

قال «أحمد» محدثًا «فهد»: أين «زبيدة»؟

أشار «فهد» ناحيةَ الشاطئ الغربي من البحيرة وقال: لقد أخذوها هناك.

مُعلَّق في الفضاء

أحمد: ماذا حدث بالضبط؟

ردَّ «عثمان»: وقعنا في مصيدة ... كنَّا نلفُّ حول الجزيرة حسب الاتفاق، عندما أُطلقت علينا بعضُ الطلقات، وتتبعنا اتجاه الطلقات، فخرج إلينا من المياه بعض الغوَّاصين، وأغرقوا القارب وجذبونا إلى القاع. ولم يكن معنا أقنعة الأكسجين فأُغمِيَ علينا، ثم جرُّونا إلى الشاطئ، وعندما أفقنا وجدناهم يتحدَّثون عن قاربٍ آخرَ يقترب، وعرفنا أنه قاربكم، ولكن لم يكن في إمكاننا عمل شيء، فقد جرَّدُونا من أسلحتنا! ...

أحمد: لقد حاولوا نفس المحاولة معنا.

عثمان: كانوا خمسة ... اثنان في المياه، واثنان هنا، والخامس أخذ «زبيدة» إلى الشاطئ الغربي للبحيرة؛ يبدو أن مركزهم الرئيسي هناك.

أحمد: إن «إلهام» في القارب عند الشاطئ، ومن الممكن أن نذهب جميعًا، إننا لا يمكن أن نترك «زبيدة» بين أيديهم ...

قال «بو عمير» موجهًا حديثه إلى «عثمان» و«فهد»: ألم تسمعا منهم شيئًا عن الصندوق الأسود؟

ردَّ «فهد»: جملة واحدة ... «يجب إنقاذ الصندوق.»

أسرع الأربعة إلى شاطئ الجزيرة، وأطلق «بو عمير» بطاريته بإشارة ضوئية، وعلى الفور أخذت «إلهام» تقترب بالقارب من الشاطئ، وقفز الأربعة إلى المياه وصَعِدُوا إلى القارب الصغير، فقالت «إلهام»: أخشى ألَّا يحملنا جميعًا ...

أحمد: سيعوم واحد منا فترة. ويركب ثلاثة وهكذا! وبقي «عثمان» في الماء، وصَعِدَ «أحمد» و«فهد» و«بو عمير»، ومضى القارب يشقُّ طريقَه فوق المياه إلى الشاطئ الغربي ...

قال «أحمد»: ثمة رجل منهم لم يظهر … لقد قال «عثمان» إن هناك رجلين في المياه، ولكننا لم نقابل منهما سوى رجل واحد.

فهد: لعله انطلق مع الذي جرى أمامنا الآن في قارب مُعَدٍّ للهرب.

أحمد: ممكن جدًّا!

ساد الصمت بعد هذه الجملة، وتولَّى «فهد» و«بو عمير» التجديف بسرعة، واتخذا مسارًا في خط مستقيم إلى الشاطئ الآخر. ومرَّت ساعةٌ قبل أن يقتربوا من الشاطئ الرملي الغامض، حيث قامت حضارة فِرْعونية قديمة منذ آلاف السنين …

على ضوء القمر الخفيف الذي كان يظهر ويختفي كلَّ حين، اختار الشياطين الخمسة مكانًا وراء صخرة كبيرة، ثم رسوا بقاربهم، وقال «عثمان» وهو يصعَد من المياه: من الصعب جدًّا تحديد مكان هؤلاء الرجال على هذا الشاطئ الواسع …

ولكن «عثمان» تلقَّى الرد. فلم يكد ينتهي من جملته حتى سمعوا صوت رَصاصة، ولدهشتهم لم تكن موجَّهةً إليهم، بل كانت على مسافة نحو مائتَيْ مترٍ من مكانهم، ودون أن يتبادلوا كلمة واحدة كانوا جميعًا ينطلقون بأقصى سرعة في اتجاه الصوت، وسمعوا رصاصة ثانية وثالثة … كانت هناك معركة تدور … ولكن مع مَن؟

عندما اقترب الشياطين الخمسة من مكان الرَّصاص، أشار إليهم «أحمد» أن ينبطحوا على الأرض ويزحف هو إلى الأمام … وسرعان ما جاء صوت غريب، أغرب صوت ممكن أن يُسمَع في الصَّحْراء، صوت موتور … أشبه بموتور السيارة أو الطائرة … وتذكَّر الشياطين ما جاء في آخر تقرير وصلهم من رقم «صفر» … أنَّ الرسم الذي كان على الورقة يشبه رسم مُحرِّك سيارة.

لم يكن من الممكن مطلقًا أن توجد سيارة في هذا المكان؛ لأنه لا يمكنها الوصول إليه … فهل هو محرِّك آلةٍ ما تستخدم لغرض مجهول في هذا المكان؟

عندما اقترب «أحمد» تمامًا من مكان الطلقات، كان الصمت يعمُّ المكان، ولكنه استطاع أن يسمع في صمت الصَّحْراء أنينَ رجلٍ جريح … كان الأنين يأتي من يمينه مباشرةً فلم يتردَّد واتجه إليه. وعندما وصل إلى مصدر الصوت وجد رجلًا يرقد على ظهره، وكان من الواضح أنه مصابٌ إصابةً بالغة، وقد امتدَّت ذراعه إلى أقصاها ممسكًا بمسدس ضخم قد تدلَّى بين أصابعه … اقترب «أحمد» على حذر من الرجل ونظر إليه … كان واضحًا أنه يلفِظُ أنفاسَه الأخيرة، قال له «أحمد»: هل يمكن أن أساعدك؟

تحرَّكت شفتا الرجل دون أن يَصدُرَ منه صوت … قرَّب «أحمد» أذنه من فم الرجل ليستمع لعله يَصِلُه إلى شيءٍ … سمع الرجل يقول: الطائرة … الطائرة …

أحمد: هل توجد طائرة هنا؟

الرجل: الطائرة ... «كروسمان» ... إنه مكاني ...

دوَّت كلمة «كروسمان» في أذن «أحمد» كالرَّصاصة. إن «كروسمان» هو المهندس المسئول عن الأجهزة والآلات العاملة في المشروع ... فماذا يقصد الرجل بذكر اسم «كروسمان» ... ووضع «أحمد» يده تحت رأس الرجل ورفعه إلى فوق، وقال الرجل: ماء ... قطرة ماء ...

لم يكن في إمكان «أحمد» أن يعثر في هذه اللحظة على هذه القطرة المطلوبة ... وكان يتمنَّى رغم أنَّ هذا الرجل عدوه، كان يتمنى لو حقَّق له هذه الأمنية؛ أن يشربَ قبل أن يموت ...

تنبَّه «أحمد» إلى يدٍ تهزُّه، والتفت ... كانت يد «إلهام»، قالت له هامسة: ماذا تفعل؟ لقد عثرنا على «زبيدة» مقيَّدةً، وفككنا وَثاقها وهي على ما يُرام.

ردَّ «أحمد»: هذا الرجل يموت ... وقد ذكر اسم «كروسمان»، أحاول أن أحصل منه على معلومات ...

وفي هذه اللحظة سقط رأس الرجل، وعرف «أحمد» أنه مات ...

كان صوت المحرِّك قد توقَّف ... وساد الصمت الصَّحْراء تحت ظلام كثيف ... فقد اختفى القمر تمامًا ...

قال «أحمد»: لقد تحدَّث الرجل عن طائرة ... هل يمكن أن تدخل طائرة إلى الأجواء المصرية دون إذن من السلطات المصرية؟ إن هذا مستحيل!

إلهام: الحقيقة أن صوت المحرك الذي سمعناه هو صوت محرِّك طائرة، وليس أي شيء آخر.

أحمد: هناك جملة غامضة قالها الرجل بعد كلمة «كروسمان» ... «إنه مكاني».

فهد: لعله يقصد أنَّ له مكانًا في الطائرة، اغتصبه «كروسمان».

أحمد: هل تصدِّق أن هناك طائرةً حقًّا؟ ... إن ...

وقبل أن يُتمَّ «أحمد» جملته عاد صوت المحرِّك القوي يرنُّ في الصمت الجاثم على الصَّحْراء، وبدا واضحًا أنه صوت مُحرِّك طائرة صغيرة تَدرُج على الأرض لتطير، وحدَّد «عثمان» اتجاهها على الفور قائلًا: إنها تَدرُج في اتجاه اليمين مباشرة.

أحمد: هيَّا بنا بأقصى سرعة ولننتشر على شكل نصف دائرة ...

انطلق الجميع يجرون على الأرض الرملية، وأحاطوا بمصدر الصوت دون أن يروا شيئًا. كانوا يخشَوْن إضاءةَ البطاريات حتى لا يُصبحوا هدفًا سهلًا لمن يريد ... وهكذا

ظلُّوا يجرون في اتجاه مصدر الصوت على أمل أن يرَوْه عن قرب، ولكن القمر منحهم فرصة العمر، فقد ظهر فجأة من وراء السحب المتراكمة فأضاء الصَّحْراء ... وعلى الضوء السماوي ظهر شبح طائرة صغيرة تَدرُج على الأرض الرملية، كانت طائرة صغيرةَ الحجم بدرجةٍ لا تُصدَّق ... وكأنها لعبةٌ كبيرةٌ نسبيًّا ... وقبل أن يُفيقَ الشياطين من دهشتهم كانت الطائرة اللعبة قد وصلت إلى نهاية سرعتها الأرضية ثم أخذت تصعَد تدريجيًّا من فوق الأرض، وسرعان ما مرَّت فوق رءوس الشياطين الستة. وكان أسرعهم استجابةً إلى الموقف «عثمان»، وكانت استجابته من أغرب ما يمكن تصوُّره! ...

كانت الطائرة الصغيرة تطير فوقهم تمامًا على ارتفاع لا يزيد على المترين ... وكان في إمكان أي واحد فيهم أن يُطلق عليها الرَّصاص، ولكن كان من الممكن — كما فكَّروا جميعًا — أن يكون فيها الصندوق الأسود؛ الصندوق الخطير الذي يَحوي عيِّنات اليورانيوم، وفي هذه الحالة سينفجر الصندوق بما فيه بتأثير صدمة سقوط الطائرة واشتعال النيران فيها ...

كان هذا تفكير الشياطين الستة، وقد حلَّ «عثمان» المشكلة بطريقةٍ فذَّة، استجمع قوته ثم قفز في نفس اللحظة التي كانت الطائرة فيها فوق رأسه مباشرة، وأمسك بعجلتيها الصغيرتين ... كانت لحظةَ شجاعةٍ خارقة، وقوة ومرونة وحسن توقيت لا تتوفَّر إلَّا لمثل هذا الشيطان الأسمر الممتاز.

انطلقت الطائرة ... وعلى ضوء القمر شاهد الشياطين الخمسة «عثمان» وهو مُدلًّى من العجلتين. ثم اختفى القمر خلف السحب المتكاثفة، وساد الظلام ...

انطلقت الطائرة «وعثمان» مُعلَّقٌ بالعجلتين، وأحسَّ بلسع الريح البارد ولكنه لم يُلقِ بنفسه رغم الألم ... ظلَّ مُصرًّا على التعلُّق بالطائرة، وفي نفس الوقت يفكِّر ماذا سيفعل بعد ذلك ...

لم يكن أمامه إلَّا حلٌّ واحد ... أن يتسلَّق الطائرةَ إلى حيث قائدها، ثم يجبره على الهبوط.

استجمع «عثمان» قُوَّته ثم ثنى جسده، وسرعان ما أصبح كالكرة مُعلَّقًا بالعجلتين. وكانت المرحلة الثالثة هي أن يُطوِّح بجسده ثم يقفز إلى جناح الطائرة، وبعدها يصبح قريبًا من السائق. ولكن ... حدث ما لم يكن في الحسبان.

تنبَّه قائد الطائرة إلى «عثمان» عندما تعلَّق بالعجلتين وأحسَّ به وهو يُطوِّح جسدَه ليتكوَّر عند العجلتين. وقرَّر شيئًا خطيرًا ... أخذت الطائرة تهبط سريعًا إلى أسفل، وفي

نفس الوقت تتأرجح يمينًا ويسارًا حتى لا تسمح لـ «عثمان» بأية حركة ... وكانت خطة الطيَّار واضحة ... أن يصل بـ «عثمان» إلى الأرض ليسحقه بين الطائرة والرمال! ...

وفي دقائقَ قليلة، وجد «عثمان» نفسه يقترب من سطح الأرض سريعًا، ولم يبقَ سوى ثوانٍ قليلةٍ وينسحق على الأرض. وهكذا في ثانية كان قد اتخذ قرارَه وألقى بنفسه وبينه وبين الأرض أقل من متر واحد ... تدحرج على الأرض ونظر فوقه ... كانت الطائرة تترنح قريبًا منه، فقد اصطدمت العجلات بالأرض، ولم يستطع قائد الطائرة أن يستعيدَ توازنه، فمالت الطائرة وكاد جناحها الأيمن يلمس الأرض، ثم مالت الناحية الأخرى، ودارت حول نفسها ثم نزلت على الأرض، وانقلبت مرةً ثم عادت تقف وانقطع صوت المحرك.

قام «عثمان» واقفًا بسرعة، وانطلق ناحية الطائرة، خشيَ أن تشتعلَ فيها النيران وأضاء ضوء بطاريته، ولحسن الحظ وجدها ما زالت تعمل، وشاهد على ضوئها قائد الطائرة يخرج منها، ويقف على جناحها لحظة. كانت المسافة بينهما لا تزيد على الثلاثين مترًا، وأخرج «عثمان» كرته المطاط الجهنمية، وأطلقها كالرَّصاصة فأصابت رأس الطيَّار فسقط على الأرض ... وفي أقل من الدقيقة كان «عثمان» يصل إلى الطائرة ويفتح بابها ويدخل ... وبنظرة واحدة شملت جوف الطائرة شاهد الصندوق الأسود وانقضَّ عليه، فقد شاهد شرارة تنطلق من محرك الطائرة، وعرفَ أنَّ النار سوف تشتعل فورًا ...

ابتعد «عثمان» سريعًا عن الطائرة. ثم أخذ يجرُّ الرجلَ الذي أصابه بكرته الجهنمية حتى أبعده عن النيران، وبعد لحظات وصل الشياطين الخمسة وشاهدوا ما يحدث ... أسرع «أحمد» إلى الرجل وأطلق ضوء بطاريته ثم صاح: «كروسمان»! والتفت إلى «عثمان» الذي رفع الصندوق الخطير بين يديه وقال: يا لك من شيطان لا مثيل له ... كيف نجوت من الموت؟!

عثمان: قل كيف نجونا جميعًا ... لقد كاد الصندوق ينفجر.

زبيدة: إنني لا أكاد أفهم شيئًا من كل ما حدث.

أحمد: المسألة أصبحت واضحة ... «كروسمان» خائن ... لقد كان هو المهندس المسئول عن الصندوق ... وبدلًا من أن يضعه ليُرسَل إلى السلطات المسئولة، وضع الصندوق المزيف، ثم أخذ هذا الصندوق إلى هؤلاء الرجال؛ ليهربوه خارج مصر.

زبيدة: والطائرة كيف دخلت؟!

أحمد: في حقائبه.

زبيدة: غير معقول!

أحمد: إنكم لم تقرءوا النشرة الأخيرة عن نشاط أجهزة المخابرات العالمية ... لقد استطاع أحد هذه الأجهزة أن يخترع طائرةً صغيرةً يمكن أن تُفَكَّ وتوضعَ في ثلاث أو أربع حقائبَ متوسطة الحجم ... وهذه الطائرة يمكن تركيبها في ساعة، ثم الطيران بها لمسافة كبيرة.

ساد الصمت الشياطين، وعاد «أحمد» يقول: كان واضحًا أن تركيبَ الطائرة كان في الحزام الذي وجدناه مع الرجل الغريق ... ولم يستطع بقية الرجال تركيب الطائرة، وهكذا لَجئوا إلى «كروسمان» الذي أدرك عندما رآنا في المنطقة أنه في خطر، وقرَّر أن يقوم بتركيب الطائرة والهرب بها ... وهكذا قضى على الرجل الذي لحقتُ به وهو يلفِظ آخرَ أنفاسه. وركب مكانه ...

فهد: سنعود ومعنا «كروسمان» ...

أحمد: أهمُّ من هذا ... معنا الصندوق الخطير!

هنـــداوي